MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 22-5-98
Photo No. : 255

المواطنية من نقطة الصفر

بقلم سمير قصير

... ويقولون ان اللبنانيين ملّوا السياسة! والله، اذا كان عدد المرشحين لملء المراكز البلدية سيتعدى في نهاية المطاف الثلاثين الفا في ظل حالة الملل والاحباط الموصوفة، فمن حسن الحظ ربما الا تدب الحماسة. تصوروا: نحو واحد في المئة من الشعب اللبناني، بمن فيهم الاطفال، اي ما يوازي ثلاثة في المئة من الناخبين الفعليين (أي المقيمين في لبنان)، يرغبون في الاضطلاع بدور سياسي مباشر، وان على المستوى المحلي.

ولكن، قد يقول قائل: ذاك هو البرهان الساطع على انحسار التسييس، مثلما كان تكاثر المرشحين في الانتخابات النيابية الاخيرة دليلا على افراغ المعركة الانتخابية من معانيها الوطنية. حسناً، انها حجة صائبة، ولكن فقط اذا كان الفرض من الانتخابات البلدية انتاج بلد جديد وعقلاني و... وهمي. اما اذا كنا نفهم هذه الانتخابات اولا كتعبير عن الوضع الحقيقي في البلد، وثانيا كوسيلة لتحريك آليات العمل في الشأن العام، تكون هذه الحملة، على قصر أمدها، قد أدت خدمات عدة، لعل أبرزها الشعور المستعاد بأن في مقدور المواطن لعب دور اساسي في الحياة اليومية لجيرانه وأهالي بلدته او حارته، مما يعني أن إحدى حلقات الاجتماع السياسي على الاقل لاتزال مفتوحة.

في بلد يسوده الاعتقاد ان السياسة حكر على اقل من عشرة اشخاص، وان القضايا العليا منها محصورة بغير اللبنانيين منهم، انه انجاز لا يستهان به، فعندما يعاني المواطنون، كما في لبنان، اغترابا فعليا تجاه القرارات السياسية، لا بأس من اعادة اكتشاف حقوق المواطنية ومعانيها، ولو على نطاق ضيق. أليست الوصاية الخارجية التي تمارسها سوريا هي نتيجة ضعف المواطنية بمقدار ما هي انعكاس لميزان القوى الاقليمي وربما أكثر؟ ولا بأس في هذه الحال ان نبدأ من اي مكان، حتى ولو كان الاقرب الى الصفر.

بالطبع، كان يفضل الا تمر استعادة المواطنية هذه باحياء احدى اسوأ قواعد العمل السياسي في لبنان منذ الاستقلال، اي قاعدة الانتماء العائلي. ولكن ما السبيل لبروز فاعليات اخرى بعد ثلاثين عاماً من الجمود البلدي وبعد تهافت الاحزاب ابان الحرب؟ ثم ان الطغيان الظاهر للـ"عائلات" في المعارك البلدية قد يخفي تحولات يصعب قياسها الآن. فبالاضافة الى ان معظم العائلات والتجمعات العائلية انقسمت جناحين او اكثر، يبدو ان احدى وسائل التمايز عندما يحصل مثل هذا الانشطار هي تبني برنامج تحديثي او على الاقل خطاب يقر بضرورة التحديث. صحيح ان ذلك لا يكون في احيان كثيرة الا غلافاً لمآرب شخصية لا تفصح عن نفسها. غير ان مجرد اللجوء الى مواضيع مثل البيئة والتنظيم المدني وحقوق المعاقين يؤكد ان الغريزة العائلية تضطر الى تجديد نفسها باستيعاب روح العصر. هذا فضلاً عن الدور المتزايد الذي تتطلع اليه النساء في الحقل العام، بدليل ان نحو اربعة في المئة من المرشحين مرشحات.

لا وهم بالتأكيد عند احد. ستغلب على اقتراع المواطنين هذا الاحد اعتبارات لا علاقة لها دوماً بالهم العام، بدءاً بالمنفعة والخدماتية ووصولاً الى الخوف من تسلط اهل القرار، وقد [illegible] الكثير قبل الانتخاب، من خلال فرض مبدأ التزكية او لوائح التوافق عند من القرى. لكن التحريف الذي طرأ وسيطرأ على الاستحقاق [illegible] فتاح البرهان الذي اطلقته قوى ما زالت حية في المجتمع عبر عنه من اجل الانتخابات البلدية والاختيارية". ولا يغير في الامر [illegible] استطاعت السلطة، كما هو محتمل، تحويل الهزيمة التي منيت [illegible] اضطرارها الى الكف عن تأجيل الانتخابات، انتصاراً. ذلك ان النتيجة [illegible] لانتخابات هذا الربيع لن تظهر عند فرز الاصوات. بل لعلها لن تكمن نفسها الا في استحقاق مقبل، اي عندما ينتقل زخم اعادة [illegible] المواطنية من الحلقة الاضيق الى حلقة اوسع. فاوسع واوسع؟

سمير